آليات التفسير النحوي في كتاب سيبويه -في المعنى أنموذجاً-

Mechanisms of grammatical interpretation in Sibawiah's book –In the meaning a sample-

د. نجاح فاهم صابر العبيدي [١]
Dr. Najah F. S. AL-Ubeidi
م.م. وفاء مسعود عزيز فاضل [٢]
Assist. Lect. Wafa M. A. Fadhal

الملخص

وقف هذا البحث في مجمله على موضوعٍ مهم تدور محاوره على (المعنى) وآلية (في المعنى)؛ فالأول هو محور التغيير والأخر هو محور التفسير، فكلُّ كلمةٍ ترِدُ في سياق تمتلك دلالة جديدة على وفق هذا السياق، فضلًا عمَّا يمكن أن يؤثِّر فيها من مقام خاص متداول لا يمكن أن تحيدَ عنه، لأنَّ اللغة في أصلها تخضع للاستعمال.

وقد وقع الاختيار على هذه الآلية من بين الآليات الأخرى لما تمتلكه من خاصيَّة مركزية قد تتفوَّق بها على بقيَّة الآليات التي لا يلتبس فيها العمل بغيره، إذ يختلف البحث في (المعنى) حين يقابل باللفظ عن (في المعنى) حين يكون آليةً من آليات التفسير، التي انتخبناها عند سيبويه لما يمتلكه من أدوات تفسيرية تماثل أدوات أو آليات المفسِّر فكان العنوان هو (آليات التفسير النحوي في كتاب سيبويه ((في المعنى أنموذجاً))).

Abstract

This study , in its summary , deals with an important subject whose principles deal with semantics and its mechanism. The first principle is that

١- كلية التربية/ جامعة كربلاء.
٢- كلية التربية/ جامعة كربلاء.

http://abu.edu.iq

of change and the second is interpretation. The word occurred in aspecific it has new significance according to this context. as well as what can affect the shrine of a special trader can not deviate him. because the language of origin shall be subject to the use of.

This mechanism is chosen rather than others for its central characteristic. The meaning that meets with pronunciation is differend from that meaning which becomes one of interpreta from mechanism chosen from "Sybwayh" for its interpretation tools. These tools are similar to interpretor tools or mechanisms and thus the title is (The mechanisms for interpretation of the grammar in Sybwayh Book " in the meaning of a model ").

المقدمة

فلطالما عُرِف النحو بأنَّهُ تلك القواعد الصارمة التي أسَّس لها النحَّاة العرب ووضعوا لها المعايير التي لم يتجاوزوها، وهذا إنَّما سلب من النحو روحه لأنَّ مدوَّنات النحَّاة العرب لم تؤلَّف على هذه الشاكلة، وإنَّما مثَّلت ميداناً خصباً مفعماً بالحيوية، وفي مقدِّمتها " الكتاب " الذي ألَّفَهُ سيبويه، فلم يضع فيه قاعدة ولم تَرِد فيه جملة إلَّا ولها انسيابيتها ومحيطها، فهي تتحرَّك مع النص، وفي الوقت نفسه لها محيط تتأثر به؛ إذ هي أشبه ما يكون بالكائن الحي الذي يتحرَّك في مجاله ويتأثر بمحيطه.

وهذه الالتفاتة ليست ناتجة عن فراغ، وإنَّما بدأت مع بداية فهم نصِّ سيبويه، وقراءتِهِ قراءة جديدة متحرِّكة، وهذا التحرُّك مرهون بمجموعةٍ من الآليات التي تعمل على تحريكه وتوجيهه، هذه الآليات التي استعملها سيبويه مماثلة لتلك التي استعملها المفسِّرون وهم يتعاملون مع القرآن الكريم كما ذهب الدكتور حسن عبد الغني الأسدي في تعريفه بهذه الآليات في كتابه (مفهوم الجملة عند سيبويه)[٣]، وفي هذا دلالة على التواشج الروحي بين العرب والقرآن من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإنَّهُ يدُلُّ على إدراك " سيبويه أنَّ وظيفة اللغوي تماثل وظيفة المفسِّر في سعيه إلى الوصول إلى الدلالة القرآنية للآية المباركة التي اقتضت أنْ يتجاوز عمله تفسير الألفاظ على وفق الكلمة ومعناها، إلى أنْ يسعى إلى البحث عن الملابسات المقامية المصاحبة لنزول الآيات أو تلك التي كانت سبباً مباشراً في نزولها وذلك فيما عُرِف باصطلاح المفسِّرين بـ(أسباب النزول) "[٤].

وبلحاظ ذلك وبعد أنْ تواجدت تلك الآليات كان لنا نصيبٌ في ولوجها فكان أن اخترنا آلية في المعنى لتفسِّر لنا الجانب النحوي في الكتاب، فاستوى العنوان على سوقِهِ موسومًا بـ(آليات التفسير النحوي في كتاب سيبويه (في المعنى أنموذجاً)).

٣– ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه / ١٨٨ وما بعدها.
٤– مفهوم الجملة عند سيبويه / ١٨٨.

http://abu.edu.iq

وهذا يضفي على عملنا بعداً آخر غير البعد المتعارف؛ إذ إنَّ التعامل مع آلية (في المعنى عند سيبويه) يختلف عن (المعنى عند سيبويه)، فالأولى أداة تحرِّك النص تهدف إلى التغيير – بكل ما يدخل تحت هذه الكلمة من معنى – والثانية تضفي معاني على النص، وتشكِّل محورًا أساسيًّا للتحليلات التي تفسِّر عمل هذه الآلية، وعليه ستكون الثانية خادمة للأولى، لأنَّها تشكِّل المحور الأساس لتحليل عمل هذه الآلية.

وبعد الإحصائية التي قمنا بها في الكتاب بحثاً عن مواقع حضور هذه الآلية وجدنا أنَّ هذه المواقع تحكم البحث بخطَّة معينة وتحتاجُ إلى زمنٍ ليس باليسير لإنجازها وقد تصنع كتاباً إن أتيحَ لها، ولذا آثرنا العمل على خطة تنهضُ بحثاً ضمن مدَّةٍ يسيرة مرجئين تكملة البحث وتطويرَهُ إلى زمنٍ آخر يمكن معه التحصيل على مجموعةٍ أخرى من النتائج التي يمكن معها خدمة هذه الآلية وإشباعها بحثاً.

وعليه فقد استقرَّت الخطَّة التي سار عليها البحث على تمهيدٍ وأربعةِ محاور؛ تكفَّل فيها التمهيد بعرضِ فقرتين أوَّلها التعريف بمفهوم آليات التفسير على نحوٍ مختصر، والآخر هو المقاربة بين استعمالها عند المفسِّرين واستعمالها عندَ سيبويه، أمَّا المحور الأوَّل فقد وقف على العلاقة التي يمكن أن تربط بين اللفظ والمعنى وآلية (في المعنى)، وكانت حصَّة المحور الثاني هي متابعة استعمال هذه الآلية آليةً للتوجيه النحوي، وبحث المحور الثالث استعمال هذه الآلية آليةً للتوجيه الدلالي، أمَّا المحور الرابع والأخير فقد تناول تضافر الآليات فيما بينها لتوجيه المعنى النحوي والدلالي، وذلك بحضور آليتنا المختارة للبحث فيها مع غيرها.

وقد اعتمد البحث مجموعةً من المصادر والمراجع التي أسعفته في خطواته؛ أوجبها: كتاب سيبويه، وأهمُّها: كتاب (الخصائص) لابن جنّي، و(مغني اللبيب) لابن هشام الأنصاري، وللمحدثين كتاب (مفهوم الجملة عند سيبويه) للدكتور حسن الأسدي، و(البحث الدلالي في كتاب سيبويه) للدكتورة دلخوش جار الله حسين، وغيرها ممَّا سُجِّل في مظانِّه.

وإنْ كانت الوريقات التي احتوت البحث ليست بالكثيرة لكنَّ العمل فيها كان مضنياً لمن لم يحظَ بقراءة الكتاب قراءة حقيقية في ضمن الزمن اليسير لكتابة البحث، ولكن تبقى صعوبة الولوج في الكتاب من الصعوبة بمحل الإحاطة بدقائقه، كيف لا وما زال الكتاب هو الشغل الشاغل لجميع الباحثين قديماً وحديثاً، فهو (البحر) كما وصفه المبرّد.

ومن المصاعب التي واجهتها الدراسة أيضاً جدَّة هذه الدراسة في توجُّهها، وعدم وجود دراسة مماثلة منحت مصطلح (الآليات) معناه الحقيقي في ضمن هذا التوجُّه لنفيدَ منها، ولذا تكبَّدنا ترتيب هذه الخطة، وكذلك تكبَّدنا البحث عن مصطلح (في المعنى)، وقراءة نصوص سيبويه في زمنٍ يسير، ولكن لم ننثنِ عن هدفنا وحاولنا أنْ نصلَ إلى فهم الآلية ودورها مستعينينَ بمنتقيات نستدلُّ بها على ما يخدم الخطَّة الموضوعة.

http://abu.edu.iq

التمهيد: آليات التفسير عند سيبويه

مدخل:

لما كانت آليات التفسير في أصلها من مصطلحات المفسِّرين وأدواتهم لتفسير آي الذكر الحكيم فإنَّ ولوجها الموضوعات النحوية يحتاج إلى التعرُّف عليها من جهة، وإحداث المقاربة بين استعمالها عندهم واستعمالها عند النحّاة وعلى رأسهم سيبويه من جهةٍ أخرى، ولذا سيكون ذلك في ضمنِ فقرتين تتكفَّلان توضيح هذين الأمرين.

أ- مفهوم آليات التفسير:

الآلية عبارة عن كيفية لها خاصيَّة عملية، وتقوم هذه الخاصيَّة على أساس الارتباط بـ(الإجراءات)، وكل (إجراء) تتحدَّد قيمته بالنتائج التي تترتب عليه والفوائد التي يأتي بها، وكلُّ ما يقاس بمعيار الفائدة، يكون ثابت الاتصاف بالخاصيَّة العملية، وعليه تكون الآلية، بوصفها متعلِّقة بوجوه الإجراء، متغلغلة في العمل، وتتعلَّق تلك الإجراءات بمنهج خاص يمثِّل مجموع الطرق والأساليب التي نتوصَّل منها إلى النتائج [٥].

ومفاد ذلك أنَّ الآلية تؤدِّي وظيفة عملية تهدف منه إلى شيء آخر، فإذا كانت الآلة عند التهانوي تعني المعنى العملي أو كيفية العمل للوصول إلى الشيء المقصود لذاته، فهو الرابط بين الوسيلة والغاية [٦]، فإنَّ عمل الآلية مشابه لذلك مع الفارق أنَّ الآلة قد تعني الأداة، والآلية تعني الإجراء الذي يتم على وفق منهج معيَّن، ولكنَّ هذا لا يعدم أن تكون الآلية في حدِّ ذاتها عبارة عن آلة يستعان بها لتحقيق الهدف.

ويرتكز القارئ المفسِّر للقرآن الكريم على آليات ومدارك علمية ومعرفية، تساعدُهُ في استكشاف النص ومقاربة معناه، وإذا كنَّا نعتقد أنَّ كلًّا من المفسِّرين قد بلور لنفسِهِ مرجعية يعتقد صحتها ويعود إليها في تأكيد وجهة نظره، فإنَّنا لا نعدم وجود مبادئ أساسية مشتركة تعتمد عليها ظاهرة التفسير. وإنَّ مقاربةَ أيِّ نصٍّ لغوي تستدعي الوقوف على حدود العلوم المتعلِّقة بذلك النص، فالمفسِّر القرآني يقف عند حدود علوم اللغة من جهة، وهي العلوم التي لا غنى عنها في دراسة أيِّ نصٍّ، وعلوم القرآن من جهةٍ ثانية [٧].

واللغوي لا يختلف كثيرًا في توجُّهِهِ عن المفسِّر، فالمفسِّر يقف على النص القرآني، واللغوي يقف على النص اللغوي، وقد عُدَّت جملة من العلوم آلةً للمفسِّر، ولا تتمُّ الصناعة إلَّا بها، وهي: علم اللغة، والاشتقاق والنحو، والقراءات، والسِيَر، والحديث، وأصول الفقه، وعلم الأحكام، وعلم الكلام، وعلم الموهبة [٨]، فإذا كانت هذه العلوم آلةَ المفسِّر للقرآن فإنَّ اللغوي أيضاً يستعين بالعلوم في تفسير اللغة.

٥- ينظر: تجديد المنهج في تقويم التراث / ٨٥ – ٨٦.
٦- ينظر: موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون ١ / ٦.
٧- ينظر: فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني / ٢٥٣.
٨- ينظر: مقدِّمة جامع التفاسير / ٩٦.

http://abu.edu.iq

ولكنَّ هذا قد يصدق من جهة على الآليات اعتمادًا على الاستعانة بألفاظ معيَّنة دون غيرها في سياق معيَّن، إلَّا أنَّ الآليات من جهة أخرى هي الحاكمة على السياق والتي توجِّهه لخدمة غرض معيَّن، ويُستعان بها للكشف عن خفايا النص والوقوف على مكنوناته، وكذلك الحال فيما يختص بالقرآن الكريم الذي تحكم اللفظة الواحدة فيه في كثيرٍ من الأحيان السياقات القرآنية، ولكنَّ الفرق بين الاثنين يكمن في أنَّ السياق الأوَّل من اختيار اللغوي والآخر من اختيار المفسِّر.

وقد أكَّد الدكتور حسن الأسدي تبنّي سيبويه لمنهج المفسِّرين في دراسته للظاهرة النحوية كما قدَّمنا، وتأكَّد ذلك عند سيبويه من خلال رؤيته لوظيفة اللغوي، وهي تفسير كلام العرب، مع كثرة واضحة في استعمال مادة (فسَّر)، وإشارته لطائفة المفسِّرين في أكثر من موضع، وكذلك اعتماده لآليات تفسيرية للظاهرة اللغوية تختلف عن الآليات التي حدَّدناها، والتي انتخبنا منها آليتنا موضع البحث، وحدَّد هذه الآليات بأنَّها: المستوى القبلي للبنية النحوية وهو مفهوم (تمثيل ولم يتكلَّم به) أو (كأنَّه قال...)، ونظرية العامل وهي النظرية الرابطة بين المكوِّنات داخل البنية، والمحتوى الدلالي للجملة، والسياق الكاشف عن بيئة الجملة سواء كان السياق اللغوي أو سياق الحال (المقام)، وأخيراً الأعراف الاجتماعية وآثارها اللغوية في بناء الجملة وترابط أجزائها واستعمال مفرداتها [٩]، وأطلق عليها في محلٍّ آخر من كتابه مصطلح (المجالات) معرِّفًا إيَّاها بقوله: " وهي المجالات التي تنسجم مع بعضها انسجامًا لا يصلح معه الانفصال، وتكوِّن جميعًا مفهومه للبنية النحوية (الجملة) للغة العربية "[١٠]، وقد تدخَّلت بعض هذه الآليات في مجرى التحليل الذي تخلَّل مفاصل البحث ممَّا لا غنى عنه، وهي الآليات الثلاث الأخيرة؛ فالمحتوى الدلالي والسياق والأعراف الاجتماعية هي الآليات المسيطرة على تأسيس القاعدة النحوية وتوجيهها، وقد تضافرت جميعها في عملية التأسيس، وكم كان لذلك من أثر في التحليلات النحوية التي تبنَّاها النحويون وهم يهمُّون بما قدَّمه القدماء وما أُثيرَ لديهم من تساؤلات شقَّت طريقها إلينا ، وكذلك الخلافات التي لم يكُن منشؤها إلَّا تلك الآليات.

ب- آليات التفسير بين سيبويه والمفسِّرين:

ممَّا لا شكَّ فيه أنَّ الكتاب قد جاء يفسِّرُ بعضه بعضاً لأنَّهُ لا يحتاج إلى غيره كبقيَّة المؤلَّفات؛ فهو كتابٌ اشتملَ على علوم العربية أجمعها، ولذا فقد أُطلِقَ عليه " قرآن النحو"، بل نجدُ أنَّهُ يمكن أنْ يوصفَ بـ"قرآن اللغة " ففيه صفة الاكتفاء، ولذا قيل فيه: " لم يُعمل كتابٌ في علمٍ من العلوم مثل كتاب سيبويه، وذلك أنَّ الكتب المصنَّفة في العلوم مضطَّرة إلى غيرها، وكتاب سيبويه لا يحتاج من فهمه إلى غيره "[١١].

٩- ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه / ٣٩.
١٠- مفهوم الجملة عند سيبويه / ٢٢.
١١- خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب ١ / ٣٧١.

http://abu.edu.iq

وفي هذا الكلام دلالة على أنَّ سيبويه كان يتَّبِع منهجاً تفسيرياً في تحليلاته وتعليلاته، ولم يكُنْ يكتفي بالمثال الواحد، ولا الدليل الواحد، ولا يقتصر على المتكلِّم دون السامع أو المخاطب، ولم يكُنْ يعتمد القياس دون السماع، وإنَّما يتعدَّاهُ أحياناً إلى القياس على المسموع وكثرته التي جاءت في كلام العرب، وكان يستعين بجميع أدوات وآليات المفسِّرين في تفسيراته، فالآليات التي استعملها سيبويه مماثلة لتلك التي استعملها المفسِّرون وهم يتعاملون مع القرآن الكريم كما يظهر في الاستقراء الذي استقراه الدكتور حسن عبد الغني الأسدي في توضيحه لمفهوم الجملة عند سيبويه [١٢]، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدُلُّ على التواشج الروحي بين العرب والقرآن من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإنَّهُ يدُلُّ على إدراك " سيبويه أنَّ وظيفة اللغوي تماثل وظيفة المفسِّر في سعيه إلى الوصول إلى الدلالة القرآنية للآية المباركة التي اقتضت أنْ يتجاوز عمله تفسير الألفاظ على وفق الكلمة ومعناها، إلى أنْ يسعى إلى البحث عن الملابسات المقامية المصاحبة لنزول الآيات أو تلك التي كانت سبباً مباشراً في نزولها وذلك فيما عُرِف باصطلاح المفسِّرين بـ(أسباب النزول) "[١٣]، وقد أشرنا إلى ذلك في مقدّمة البحث.

وفي الكلام المتقدِّم دلالة جديدة تعدُّ من الدلالات الإيجابية التي أضفاها علم اللغة الحديث، إذ بدأ البحث يتَّخذ وجهة جديدة مع الكتاب وقراءة جديدة لهُ فأثمرت عن أنْ يكون سيبويه المفسِّر غير سيبويه اللغوي، لأنَّ الدائرة التي يضع البحث سيبويه فيها كلَّما كانت أضيق كلَّما كان ذلك أبخس لحقِّه، ولكنْ قد يكون لبعض الباحثين العذر إنْ كان قد تناول زاوية من شخصية سيبويه وترك أخرى من حقِّ غيره، فنحن نرى في سيبويه أنَّهُ اللغوي والمفسِّر، بل والراوي، وغير ذلك ممَّا سيطول على القارئ فيما لو ذُكِر.

وعوداً على سيبويه المفسِّر نجدُ أنَّ البحث الحديث قد كشف عن عناية سيبويه بالسياق وكيف أنَّهُ نظر إلى اللغة أنَّها ذلك الكل المتماسك الذي يفسَّر من خلال محيط النص لا منعزلاً عنه، وعلى هذا الأساس وضع سيبويه كتابه، ومن هنا اكتسب وظيفته التي أُلِّفَ من أجلها، وقد تنبَّهَ سيبويه –كما تقدَّم في النص–على أنَّ وظيفة اللغوي كالمفسِّر فهو يجب أنْ لا يفسِّر الألفاظ فقط بمعانيها وإنَّما يتجاوز ذلك إلى ما بعد اللفظ والمعنى وهو المحيط الذي يحيط بالنص من الشخوص والواقع الخارجي، فإذا كان من واجبات المفسِّر حين يقوم بعملية التفسير الموضوعي أنْ يحدِّد الموضوع الذي تبرزه عادةً التجربة الإنسانية أو ما يتَّسم بالأهميَّة في حركة المجتمع –معرفيَّاً أو عملياً – فإنَّهُ سوف يقوم بعرض هذا الموضوع الحياتي على النصوص القرآنية ومعطياتها وصولاً منهُ إلى استجلاء الموقف النهائي للقرآن تجاه ذلك الموضوع، لأنَّ حدود الموقف القرآني هذا مرتبط بالقيمة المعرفيَّة التي عليها المفسِّر في قراءة النص القرآني [١٤]، وهذا الكلام يمكن أنْ يُقامَ دليلاً على أحقيّة سيبويه في وصفِهِ مفسّراً لأنَّه أوعى ما يكون باللغة وأوعى ما يكون بالنص وأوعى ما يكون بعرض المعلومة وموضوعها، وهنا تظهر جليَّاً العلَّة التي دعت إلى تسمية كتاب سيبويه بـ "الكتاب".

١٢– ينظر: مفهوم الجملة عند سيبويه / ١٨٨ وما بعدها.
١٣– مفهوم الجملة عند سيبويه / ١٨٨.
١٤– ينظر: المنهج التفسيري / ٥٣.

http://abu.edu.iq

إذ إنَّ تسمية الكتاب بهذا الاسم فيها كثير من الشبه من تسمية القرآن الكريم بالكتاب، بل يرى الدكتور حسن الأسدي أنَّها من وضع سيبويه نفسه حين يقول: "وعلى الرغم ممَّا قيل في أنَّ سيبويه لم يضع اسمًا لكتابه فإنّي أرى أنَّ كتاب سيبويه أو الكتاب هي تسمية من وضعِ سيبويه متأثِّرًا بتسمية القرآن الكريم كتاب الله، وكما أنَّ القرآن كتاب الله المهيمن على كلِّ الكتب السماوية، فكذا أراد سيبويه أن يكون لكتابه تلك المنزلة في النحو العربي..!"[١٥]، وكأنَّ سيبويه يُلمح إلى أنَّ هذا السِفر يشبه القرآن من جهة أنَّهُ يضم أسرار هذه اللغة، ويحتوي من خصائص العربية التي هي لغة القرآن المعجزة، لذلك نجد صدى ذلك لدى العلماء فيما بعد بتسميته (قرآن النحو) أو (البحر)، فالقرآن أيضاً قد أُطلق عليه البحر أو غير ذلك من التسميات.

وبتحليل هذا الكلام ألا يمكن أن يتفقَ أيُّ قارئ لبيب في أنَّ الكتاب أشبه ما يكون بالقرآن! لا من حيث القدسية وإنَّما من حيث الشمولية والتعامل مع اللغة والنص والسياق والواقع الاجتماعي، وهو ما نعتناه بأسرار اللغة، وهذا ما جعل من سيبويه مفسِّراً، لأنَّه إذا كان هناك شبه بين تسمية القرآن بالكتاب وتسمية كتاب سيبويه بالكتاب فسيكون التعامل مع اللغة أشبه بالتعامل مع القرآن! ووعي سيبويه بذلك حملهُ على بسط القول في المسألة الواحدة واستجلاب القول في المكان المناسب والتفصيل لسكب المعلومة مُيسَّرة فلولا ذلك لكانت اللغة قوالب جامدة ولعُدِمت تلك الانسيابية والدينامية التي تفرض الحركة، وتمتّع القارئ، وإنَّنا لنعجب لمن يقول بغموض الكتاب، وعدم وضوحه وكونه أشبه بكتاب فتاوى[١٦]، فلو كان ذلك لم يكُن الكتاب ليشغل ذلك الحيِّز وسيبويه قد وضعه للعامَّة والخاصَّة، فتارةً يفسِّر لعالم اللغة، وتارةً أخرى يفسِّر للأشخاص غير المختصين، وهو في كل ذلك لا يغادر آليات التفسير التي استعان بها المفسِّرون ولا يغادر وعيه بما يفسِّر، ولذا يمكن أنْ ننعته حقًّا أنَّه "سيبويه المفسِّر".

المحور الأوَّل: اللفظ والمعنى وآلية (في المعنى)

لقد وصل إلينا أنَّ العرب الأوائل قد انتشروا في أصقاع الجزيرة العربية وتعدَّدت لهجاتهم في تلك الأصقاع، وكانت اللغة أهم المهمَّات والغايات التي نالت اهتمامهم، ولذا جُبلوا على القول الفصيح، وأدلُّ الأدلَّة على تلك الأهميَّة أنَّ المعجزة التي خصَّ الله نبيَّنا محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- بها هي القول المعجز (القرآن الكريم)، ومنه فقد أصبحت اللغة أكثر أهمية عند العرب من غيرهم في محاولةٍ لاستكشاف هذا المعجز والحفاظ على لغته.

ولذا انبرى سيبويه مسخِّراً مداده لخدمة هذه اللغة، فترك الرقاد وامتطى طريق السماع لسماع اللغة من أفواه الثقاة الذين سيطرت الفصاحة على ألسنتهم ويمكن الاستناد على قولهم، ومنهُ فقد كان السماع لديه الأصل الأوَّل الذي بنى عليه الأصول وأقام عليه دعائم الكتاب، والمتصفِّح له سيكون أكثر تماسًّا مع هذه الحقيقة.

١٥- أثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه / ٧٩.

١٦- ينظر: سيبويه إمام النحّاة / ١٦٣ – ١٦٤، والمنهج اللغوي في كتاب سيبويه / ٧.

http://abu.edu.iq

وهذا الأمر إنَّما نذكرُهُ لنبيّن أنَّ السماع يعدُّ مرجع الأدلة كلِّها، لأنَّ القياس إنَّما يبنى على ما جاء به السماع، فلا يجوز القياس عندهم على ما لم يُسمع، لأنَّ إجماع النحويين لا يكون حجَّة إلَّا إذا استند على دليل من السماع [١٧].

وبذا يكون سيبويه قد منح اللفظ ابتداءً أهمية خاصَّة وأعطى المعنى الأهميَّة نفسها في تقعيد قواعده، وليس أدلُّ على ذلك من قولِهِ في " (باب الاستقامة من الكلام والإحالة): فمنه مستقيم حسنٌ، ومحال، ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب؛ فأمَّا المستقيم الحسن فقولك: أتيتُك أمْسِ، وسآتيك غداً، وأمَّا المحال فأن تَنقض أوَّلَ كلامك بآخِره فتقولَ: أتيتك غداً، وسآتيك أمس، وأمَّا المستقيم الكذب فقولكَ: حَمَلتُ الجبلَ، وشربتُ ماء البحر ونحوه. وأمَّا المستقيم القبيح فأنْ تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيداً رأيت، وكي زَيدٌ يأتيك، وأشباه هذا. وأمَّا المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمسِ "[١٨].

أمَّا الدلالة على إطلاقه لفظ المستقيم الحسن على ما تشاكل لفظه بمعناه فاستقام وحسُنَ فإنَّما يظهر في تعريفه للمستقيم القبيح بأنَّهُ (وضع اللفظ في غيرِ موضعه) [١٩]، ومنهُ فقد قوَّمَ القاعدة النحوية على أساس هذا المستقيم الحسن وما حدثَ فيه من خرق للقاعدة النحوية حاول أن يبرّره بالتأويل والتفسير، فإذا كان " الكلام... عندَهُ ألفاظ متآلفة تحقِّق معنى يحَسُن السكوت عليه "[٢٠]، فإنَّ هذا سيجعل سيبويه ينظر إلى اللفظ والمعنى على أنَّهما وجهان لعملةٍ واحدة، ولذا قال: " ألا ترى أنَّكَ لو قلتَ: فيها عبدُ الله حَسُنَ السكوتُ وكان كلاماً مستقيماً، كما حَسُنَ واستُغنِي في قولك: هذا عبد الله "[٢١].

وإذا أردنا أن نستثمرَ قضيَّة الظاهر والباطن لخدمة اللفظ والمعنى لأمكننا أن نربط بين البنية العميقة للغة، والبنية السطحية، ذلك أنَّ الأولى تقابل المعنى، والثانية تقابل اللفظ، وإن كان الأوَّل يعبّر عن المخزون الذي يدخل في ضمنه البنى التركيبية، والثاني يعبّر عن اللغة في جانبها المنطوق، لكنَّنا نأخذ من ذلك المعنى الذي يدخل فيه أنَّ لكلِّ شيءٍ ظاهراً وباطناً، ولا يمكن أن نستغني عن أحدهما ونترك الآخر، ولذا اعتمد سيبويه على جانبين لتحليل اللغة، ربط أحدهما بالظاهر، وربط الآخر بالباطن، فالأوَّل هو جانب التفسير والثاني هو جانب التأويل الذي أُطلِقَ عليه عند النحويين (التقدير).

فقد عرَّف أصحابُ التفسيرِ التفسيرَ بأنَّهُ: بيانُ معاني الألفاظ القرآنية الظاهرة. أمَّا التأويل فهو: بيانُ معاني الألفاظ القرآنية الباطنة [٢٢]، فالأولى متعلِّقة بظاهر اللفظ والثانية متعلِّقة بباطن اللفظ (المعنى)، وهذا يأخذنا إلى بعد آخر هو أنَّ المعاني صنفان صنفٌ ظاهر يُفهم من ظاهر الكلام، وصنفٌ باطن يحتاج إلى التأوُّل فيه أو التقدير.

١٧- ينظر: مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة / ٩١.
١٨- الكتاب ١ / ٢٥ – ٢٦.
١٩- النحو والدلالة / ٨٦.
٢٠- المنهج الوصفي في كتاب سيبويه / ٢٣٥.
٢١- ينظر: الكتاب ٢ / ٨٨.
٢٢- ينظر: تعريف الدارسين بمناهج المفسّرين / ٢٧.

http://abu.edu.iq

أي أنَّ كليهما مرتبط بالمعنى ولكن على درجات، " فإذا كان المقصود من التفسير والتأويل استجلاء المعنى بانَ أنَّ نهج الوصول إلى المعنى إنَّما هو اللفظ، وبذلك تطفح إلى السطح عند التفسير العلاقة المعروفة بين اللفظ والمعنى،ويتَّضح أنَّ التفسير والتأويل عمليتان تنطلقان كلتاهما من اللفظ بمعناه الواسع أي من النص، من لغته"[٢٣]،ولذا عُدَّ هذان المصطلحان ضمنَ مجموعة من الثنائيات المتقابلة التي يعبِّر جميعها عن تقابل التفسير والتأويل والمستقاة من لغة الأصوليين، وكتب العلوم، وتقاربت رغم اختلافه، وما يهمُّنا منها: (التفسير والتأويل ، اللفظ والمعنى ، الظاهر والباطن) [٢٤].

وتأكيد هذا الارتباط بين هذه الثنائيات ما ذكره أحد الأعلام في قولِهِ: " فالعارف الكامل من حَفِظَ المراتب وأعطى كلَّ ذي حقٍّ حقَّه،ويكونُ ذا العينين وصاحب المقامين والنشأتين، وقرأ ظاهر الكتاب وباطنه وتدبَّرَ في صورتِهِ ومعناه وتفسيرِهِ وتأويله، فإنَّ الظاهر بلا باطن والصورة بلا معنىً كالجسد بلا روح والدنيا بلا آخرة كما أنَّ الباطن لا يمكن تحصيله إلَّا عن طريق الظاهر، فإنَّ الدنيا مزرعة الآخرة "[٢٥].

وإذا التفتنا إلى هذه الثنائيات وبنينا الأمر على العقيدة وجدنا أنَّ القضية مرتبطة ما بين القرآن واللغة، فسيبويه تعامل مع اللغة كتعامل المفسِّر مع القرآن، ومنهُ فقد استعمل الآليات نفسها، وبنى على العلاقة بين اللفظ والمعنى، ولما كانت هذه العلاقة متراصَّة ولا يمكن الفصل بينها، وانطلاقاً من عقيدة سيبويه التي لا تنفكُّ عن المذهب الذي سلكه ومنهج هذا المذهب في التفسير فقد كان ملزماً نفسه ببناء قواعده بل بناء كتابه على قضيَّة اللفظ والمعنى، وأكَّد هذه الحقيقة الدكتور إدريس مقبول بقولِهِ: " وأنت إذا تأمَّلت حال الناظر في النحو وجدته لا يخلو أن يكونَ أحد اثنين لا ثالث لهما: إمَّا أن يكونَ صاحب نحلة ومذهب أو لا يكون "[٢٦].

وفي الحقيقة إنَّ المسألة يتجاذبها اعتباران اثنان أحدها لساني صرف والآخر مذهبي عقائدي، فأمَّا المذهبي فقد اتَّسمَ بالتقديرات النسبية فكان يمثِّل المنحى الذاتي في تحليل الظاهرة اللغوية وتفسيرِ نواميسها المحرِّكة، ولما كان مقترناً بالبعد الديني فإنَّهُ تنزَّل حضارياً في منزلة البناء العلوي المسيطر على عامة التفكير اللغوي حتى إنَّهُ يكاد ينفرد ظاهرياً بحق الاحتكام وأمر التقييم [٢٧].

وعلى هذا الأساس لم يجعل من اللفظ والمعنى آليةً من آليات التفسير، وإنَّما استعاض عنها بآلية (في المعنى) لأنَّهُ وجدَ فيها استعانة في التوجيه ممَّا لا يقف عند اللفظ الذي هو نافذ بنفسه، ولا يقف على اللفظ والمعنى على أساس أنَّهما تأصيل للقاعدة النحوية لا آلية لتفسيرها أو توجيهها فكانت هذه الآلية من الأهميَّة بمكان إلى الحد الذي قد يلتبس على المتصفِّح لكتاب سيبويه، وهي تقع ضمن منظومة من

٢٣- قضايا اللغة في التفسير / ٣٤.
٢٤- ينظر: قضايا اللغة في التفسير / ٣٦.
٢٥- المنهج التفسيري / ١٩٠.
٢٦- الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه / ٢.
٢٧- ينظر: التفكير اللساني في الحضارة العربية / ١٠٠، وآليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه / ١٥.

http://abu.edu.iq

الآليات التي لا ينفكُّ سيبويه يستعملها، ولكن كانت الاستعانة بها على أوجه ستتضِّح أكثر في أثناء البحث.

المحور الثاني: (في المعنى) آلية من آليات التوجيه النحوي

لما كانت التراكيب النحوية تأتلف مع بعضها في مجموعةٍ من النصوص التي تشكِّل السلسلة الكلامية كان لا بُدَّ معها من أنْ تُدرس تلك التراكيب من جوانب متعدِّدة إسوةً بالنص الذي تشكِّل جزءاً منهُ، فكما ذكرنا أنَّ هناك آليات تدعم النص وتحرِّكَهُ باتِّجاهٍ معين، وتحت عنوان هذا المحور كانت وظيفة هذه الآلية نحوية سياقية وظيفية، يقول سيبويه: " هذا باب الفاعلين والمفعولين اللذين كلُّ واحدٍ منهما يفعل بفاعله مثل الذي يفعل به وما كان نحو ذلك وهو قولك: ضربتُ وضربني زيدٌ، وضربني وضربتُ زيداً، تحمل الاسم على الفعل الذي يليه. فالعامل في اللفظ أحدُ الفعلين، وأمَّا في المعنى فقد يُعلم أنَّ الأوَّل قد وقع إلَّا أنَّهُ لا يُعمل في اسمٍ واحدٍ نصبٌ ورفعٌ.

وإنَّما كان الذي يليه أولى لقرب جوارِهِ وأنَّهُ لا ينقضُ معنىً وأنَّ المخاطب قد عرف أنَّ الأوَّل قد وقع بزيدٍ، كما كان خشَّنتُ بصدرِهِ وصدرِ زيدٍ وجهَ الكلام، حيثُ كان الجر في الأوَّل وكانت الباء أقرب إلى الاسم من الفعل ولا تنقض معنى، سوَّوا بينهما في الجرّ كما يستويان في النصب "[٢٨].

فالمراد هنا أنَّ المعنى قد وجَّه الحالة الإعرابية في حين أنَّ الاقتصار على اللفظ يجعل القارئ يقع في لبس لأنَّ اللفظ لا يمثِّل إلَّا البنية السطحية المنطوقة عند سيبويه في حين أنَّ المعنى قد شكَّل البنية العميقة للفظة، ولذا فقد قابل به اللفظ، وحدَّد معه الحالة الإعرابية بين الفاعلية والمفعولية، وفي هذا التحديد يذهب الزمخشري في المفصَّل إلى أنَّ " وجوه الإعراب هي الرفع والنصب والجر، وكل واحد منها علم على معنى: فالرفع علم الفاعلية، والفاعل واحد ليس إلَّا... وكذلك النصب علم المفعولية، والمفعول أضرب... "[٢٩].

في حين كان الرماني قد أكَّد هذه الحقيقة بقولِهِ: " ولا تنظر إلى ظاهر الإعراب، وتغفل المعنى الذي يقع عليه الإعراب لتكونَ قد ميَّزتَ ما تجيزهُ أو تمتنع منهُ، صواب الكلام من خطئه "[٣٠].

وبعودة إلى نص سيبويه نلفيه يزاوج بين المتابعة المكانية والمعنى لتوجيه الإعراب فيذهب إلى أنَّ الاسم يتأثر بالفعل من جهتين: الأولى هي القرب الموقعي وعدم نقض المعنى، ثمَّ ينتقل إلى العلَّة الثانية للعمل وهي الواقع الخارجي فيتدخل المخاطب ليضفي على العمل وجهةً اجتماعية خارج نطاق العمل الجملي، وهذا أيضًا يعدُّ أثرًا من آثار آليتنا لأنَّ المخاطب قد فهم أمراً فعلَّق عليه العمل من حيث الرفع أو النصب وهو معنى، ودليل ذلك أنَّك إذا أُخبرت بحادثة معينة ثمَّ لم تتفهَّم معناها تقول للمقابل ماذا تقصد أي (ما معنى كلامك؟).

٢٨- الكتاب ١ / ٧٣ – ٧٤.
٢٩- المفصَّل / ٣٧.
٣٠- الرماني النحوي / ٢٥٠.

http://abu.edu.iq

وهذا يفيد أنَّ سيبويه قد جعل من هذه الآلية محوراً للعمل النحوي من خلال مقابلتها باللفظ تارةً، وصحة المعنى وعدم حصول اللبس تارةً أخرى، ثمَّ أدخل الواقع الاجتماعي الدال على المعنى الخارجي الذي يفهمه المخاطب، فقد لاحظ سيبويه أنَّ اللغة لا تنفصل عن محيطها الخارجي؛ لأنَّهُ لم يقتصر على النظر في بنية النص اللغوي منعزلاً عن العوامل الخارجية التي تلفُّه وتحيط به، وإنَّما نظر إليها على أنَّها ضربٌ من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه، وكذلك فطن إلى أنَّ الكلام لهُ وظيفة ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي، وأنَّ هذه الوظيفة وذاك المعنى لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيهِ من شخوص وأحداث، فقد ظهر ذلك كلُّهُ عند سيبويه وغيره من القدماء وإنْ لم ينصُّوا عليه مبدأً من مبادئ التقعيد أو أصلاً من أصول نظريتهم اللغوية كما يذكر الدكتور أسعد العوَّادي [٣١]، على أنَّ رأي الدكتور حسن الأسدي قد جاء مناقضًا لرأي الأخير؛ لأنَّه يرى أنَّ هذا الكلام غير صحيح ولا سيَّما عند سيبويه؛ فقد نصَّ سيبويه على أنَّ الارتباط الوثيق بالسياق هو مبدأ من مبادئ التقعيد عندما استعمل مصطلح (الخُلْف)، وإنَّما أُهمِل بسبب غلبة التيار التعليمي للنحو وتفوُّقِهِ على التيار البحثي العلمي [٣٢]، ونحنُ بدورنا نتفق مع الدكتور حسن الأسدي فيما ذهب إليه.

أمَّا قولُهُ: " يفعل بفاعله " فإنَّما يشير إلى إحداث الفعل من لدُن فاعل حقيقي، فالضرب حدث لمن قام به ولا يكون إلَّا بفعل فاعل، فالفعل هنا حركة الفاعل والحركة لا تقوم بنفسها وإنَّما هي متصلة بمحلِّها [٣٣].

وفي نصٍّ آخر لسيبويه نراهُ هذه المرة يتحدث عن المضمر ويبتني لنفسه توجيهاً آخر يوجِّه عبره التركيب النحوي ورافق الحديث عنده التفسير لأنَّ مجيء الضمير مشروطٌ بالتفسير، فقد قال في باب ما لا يعمل في المعروف إلَّا مضمراً: "وما انتصب في هذا الباب فإنَّهُ ينتصب كانتصاب ما انتصب في باب حسبُك به وويحه، وذلك قولهم: نِعْمَ رجلاً عبدُ الله، كأنَّك قلت: حسبك به رجلاً عبد الله؛ لأنَّ المعنى واحد. ومثل ذلك: رُبَّهُ رجلاً، كأنَّك قلت: ويحَهُ رجلاً، في أنَّهُ عمل فيما بعده، كما عمل ويحاً فيما بعده لا في المعنى. وحسبُكَ به رجلاً مثلُ نعمَ رجلاً في العمل وفي المعنى؛ وذلك لأنَّهما ثناءٌ في استيجابهما المنزلة الرفيعة "[٣٤]، وذكر ابن هشام أنَّ هذا الضمير مرفوع بنعمَ وأنَّهُ لا يفسَّر إلَّا بالتمييز [٣٥].

الحديث هنا مرتبط بالمخصوص بالمدح والذم، وهو يعلِّل لقوَّة دلالة هذا النمط التعبيري بالإضمار الذي بدوره مفسَّر بالمخصوص [٣٦]، ويظهر جلياً من النص أنَّ آلية (في المعنى) قد حكمت العمل والتوجيه والحركة فيه، فالعمل واحد لأنَّ المعنى واحد في الجملتين الأوليين، وفي الجملتين التاليتين انشقَّ

٣١- ينظر: علم اللغة الاجتماعي / ٦٦، وسياق الحال في كتاب سيبويه / ٣٣.
٣٢- ينظر: الكتاب ٢ / ٨٠ – ٨١، ومفهوم الجملة عند سيبويه / ١٩٠ وما بعدها، وأثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه / ٩١ وما بعدها.
٣٣- ينظر: الوظيفية في كتاب سيبويه / ٥٤.
٣٤- الكتاب ٢ / ١٧٥ – ١٧٦.
٣٥- ينظر: مغني اللبيب ٥ / ٥٣٣، والنحو والمعنى (دراسة في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري) / ١٢٤.
٣٦- ينظر: الوظيفية في كتاب سيبويه / ٦٠.

http://abu.edu.iq

العمل عن المعنى، وفي ذلك نجد أنَّ سيبويه قد صرَّح بهذه الآلية بصورةٍ مباشرة لأنَّه يذكر ابتداءً أنَّ العمل حاضر بسبب المعنى وبعد ذلك يذكر العمل ويقول: "عمل ويحاً فيما بعده لا في المعنى"، وإنَّما حصلت المشابهة في المعنى لأنَّ (حسبك به) و(نعم) يدلَّان كلاهما على المنزلة الرفيعة في حين أنَّ (ربَّ) و(ويحهُ) لا تدُلَّان على المعنى نفسه.

فلعلَّ ما ذكر هو من جهة توجيه الآلية من داخل النص، أمَّا إذا احتكمنا إلى خارج النص لوجدنا سيبويه يجعل النص في دينامية ظاهرة حين يفترض مخاطباً ويحمِّل ذلك المخاطب مسؤولية إيضاح المعنى، وذلك من خلال تكرار لفظة: (كأنَّكَ قلت) مرتين في النص "معنى هذا أنَّ كلَّ إنتاج لغوي يؤطِّرهُ (عقد كلامي) معيَّن، وهو مكوَّن أساسي من مكوِّنات الخطاب التداولي، ويتجلَّى من خلال المساحة التي تفرض نفسها على كل متداول للخطاب في الموقف المعيَّن، إذ يحدِّد ما يمكن قوله وإنجازه...معنى هذا أنَّ كل أشكال الأقوال التي يمكن أنْ تلفظ لابُدَّ (*) أنْ تكونَ لها علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالموضوع؛ أي هناك مساحة محدودة تحدِّد الأقوال الممكنة، تضبطها المعرفة المتداولة بين المتخاطبين من جهة، والاتفاقات والعلاقات الاجتماعية من جهةٍ أخرى"[٣٧].

ما نريد أنْ نتوصل إليه من ذلك أنَّ سيبويه قد وظَّف هذه العلاقة الاجتماعية والمعاني التي هي مألوفة للمتكلِّم والمخاطب بما يخدم التركيب النحوي، وهذا المخاطب الذي يذكرهُ سيبويه يكونُ متخيَّلاً، وهذا يكون أكثر تحريكاً للأحداث التي ينشدها سيبويه فهو يصوِّر مسرحاً كاملاً للكتاب وكأنَّما تشعر أنَّهُ المؤلِّف الراوي الذي يتَّخذ من الأحداث تسلسلاً ينتهي بعد أنْ يمرَّ بالعقدة إلى الحل.

أمَّا من جهة تفسير المضمر بالاسم بعده فهذا أيضاً يدخل في باب المعنى لأنَّ الضمير في حقيقته يوازي الاسم في المعنى ويمكن استبداله به أو كما ذهب سيبويه إلى تفسيره به حين قال: " فالذي تقدَّم من الإضمار لازمٌ له التفسير حتى يبيِّنهُ "[٣٨] وهو يدلُّ على الشخص نفسه، ولعلَّ سيبويه قد استنجد في هذا الموضع بلفظة تفسير لأنَّ المعنى المنشود من النص حين جعل الضمير متقدِّم على الاسم قد أوقفه على شريطة التفسير ولذلك صحَّ، ولذا يقول: " ولا يجوز لك أنْ تقول نِعْمَ ولا رُبَّهُ وتسكت، لأنَّهم إنَّما بدأوا بالإضمار على شريطة التفسير "[٣٩].

وورد في الكتاب فيما يخص أحد أبواب (أنَّ) أنَّها في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ للهِ﴾ [الجن: ١٨] لا يقدِّمونها ويبتدئونَ بها، ويُعمِلونَ فيها ما بعدها. إلَّا أنَّ الخليل يحتج بأنَّ المعنى معنى اللام. فإذا كان الفعل أو غيره موصلاً إليهِ باللام جاز تقديمه وتأخيره، لأنَّهُ ليس هو الذي عمل فيه في المعنى، فاحتملوا هذا المعنى كما قال: حسبُكَ يَنَمِ الناسُ؛ إذْ كان فيهِ معنى الأمر [٤٠].

٣٧- ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية / ١٦. (*) الصواب (لا بُدَّ).
٣٨- الكتاب ٢ / ١٧٦.
٣٩- الكتاب ٢ / ١٧٦.
٤٠- الكتاب ٣ / ١٢٨ – ١٢٩.

http://abu.edu.iq

على هذا الكلام تعليقٌ كثير ولكنَّنا سنحاول أنْ نلخِّص ما يتمخَّض عنه بما يخدمه، ففيما يخصّ الآية الكريمة فقد جاءت هذه الآية مصداقاً أو شاهداً على حذف اللام قبل أنَّ وهذا هو رأي الخليل، ويعقِّب سيبويه على ذلك بأنَّ جواز التقديم والتأخير في الجملة متأتٍّ من هذا الحذف وكذا العمل لأنَّ هذه اللام قد عملت من جهة المعنى الذي حملته فكانت الآلية حاكمة للعمل على أساس أنَّ الجملة التالية لهذهِ الجملة في الآية وهي قوله تعالى: ﴿وأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ قد أظهرت هذا الأمر، إذ قدَّرها سيبويه على أنَّها "ولأنَّ المساجدَ لله فلا تدعوا مع الله أحداً"(٤١).

وإنْ استفهم مستفهم عن هذا الأمر وعن الأثر الذي أحدثتهُ آلية (في المعنى) لكان الجواب أنَّ العمل قد حكمه المعنى، وهذا العمل هو النصب أو الجر لما بعد (أنَّ)، ففي ذلك يقول ابن هشام في المغني: " ومحل أنَّ وأنْ وصلتهما بعد حذف الجار نصبٌ عند الخليل وأكثر النحويين حملاً على الغالب فيما ظهر فيه الإعراب ممَّا حُذِفَ منهُ، وجوَّزَ سيبويه أنْ يكونَ المحل جرَّاً، فقال بعدما حكى قول الخليل: ولو قال إنسان أنَّهُ جرٌّ لكانَ قولاً قويَّاً ولهُ نظائر نحو قولهم لاهِ أبوكَ، وأمَّا نقل جماعة منهم ابن مالك أنَّ الخليل يرى أنَّ الموضع جر وأنَّ سيبويه يرى أنَّهُ نصب فسهو. وممَّا يشهد لمدَّعي الجر قولُهُ تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾ [الجن: ١٨] ﴿وأنَّ هذه أمَّتُكم أُمَّةً واحدةً وأنا ربُّكم فاعبدونِ﴾، أصلُهما: لا تدعوا مع الله أحداً لأنَّ المساجدَ للهِ، وفاعبدونِ لأنَّ هذِهِ...، ولا يجوز تقديم منصوب الفعل عليه إذا كان أنَّ وصلتها"(٤٢).

وذهب المفسِّرون إلى أنَّ المعنى يُستدَلُّ به على وجود لام محذوفة حين جعلوا الجملة الأولى في موضع التعليل والتقدير: (لا تدعوا مع الله أحداً لأنَّ المساجدَ لهُ)(٤٣)، وجاء عن سيبويه قولُهُ: " أمَّا المفسِّرون فقالوا: على أُوحِيَ، كما كان ﴿وأنَّهُ لما قامَ عبدُ اللهِ يدعوهُ﴾ على أُوحِيَ"(٤٤).

ومن جهة التعامل مع النص من حيث المحيط الذي يحيط به نجد هذه المرة أنَّ الشاهد الذي استشهد به سيبويه هو النص القرآني الذي يشكِّل مشهداً متكاملاً؛ وحين نرسم المشهد نجد المخاطب لا يغيب عن هذا المشهد، فالله يكلِّم المؤمنين ويجعل السجود له علَّةً تمنع الدعوة إلى غيره، وهنا عبَّر الله بالجزء عن الكل، فحينَ يقول إنَّ المساجد له فإنَّ العبدَ كلُّهُ ملكٌ له، أو قد يكون المراد الكناية عن الصلاة لأنَّها تمثِّل الصلة المتينة بالله فإذا سجد العبد بهذِه المواضع لله كان أحرص على أنْ لا يكون منهُ سجود لغيره، وإنَّنا إذ نعلِّل لذلك لأنَّ المشهد المتصوَّر لهذه الحال يستدعي المخاطب الذي يدور الكلام حوله بل إنَّ المخاطب في القرآن هو المدار الذي تدور حوله المعاني القرآنية وهو الذي يترتب عليه الأثر من جهة العمل سلباً كان أو إيجاباً " وهذا يعني أن الصنف التركيبي الذي يشير إليه سيبويه بوضوح لا يمكن أن

٤١- الكتاب ٣ / ١٢٧.
٤٢- مغني اللبيب ٥ / ٦٩٧ – ٦٩٩.
٤٣- ينظر: تفسير الميزان ٢٠ / ٥٣.
٤٤- الكتاب ٣ / ١٢٧.

http://abu.edu.iq

يحيل إلى كيانات انعزالية بمعنى أنَّها تمثل القدرة التمييزية ما دام هذا التمييز نفسه يظهر على شكل حدث يحيط ببعض جوانب المشهد المتصوَّر "[٤٥].

المحور الثالث: (في المعنى) آلية من آليات التوجيه الدلالي

بعد أنْ قدَّمنا في المحور الذي مضى لآلية (في المعنى) آليةً من آليات التوجيه النحوي، نستعين في هذا المحور بهذه الآلية لتوجيه المعنى الدلالي، وهذا المعنى قد شرَّقت فيه الكتب وغرَّبت بحثاً عن الدلالات المتعدِّدة، فهناك الدلالة النحوية وهناك الصرفية والصوتية، بل إنَّ موضوع الدلالة نفسه متشابك مع موضوع المعنى، فهناك من يذهب إلى أنَّ الدلالة والمعنى شيء واحد، ومنهم من يفرِّق بينهما، وليس في هذا الأمر ما يعنينا فالمهم لدينا أنَّ المعنى غير الدلالة، فالأوَّل يدُلُّ على ما يقابل اللفظ، والثاني يدُلُّ على شيء أوسع من ذلك؛ إذ تدخل في ضمنه جميع المعاني فضلاً عن الرموز والحركات وغيرها ممَّا يمكن أنْ يفهم في ضوء المحيط الذي يحيط به أو القرينة التي يقترن بها.

ومنهُ فقد استطعنا أنْ نلملمَ بعضاً من المواضع التي وردت فيها ألفاظ قابل فيها سيبويه بين اللفظة والمعنى الذي هي عليه، وجاء في سياق هذه اللفظة الآلية التي وجَّهت المعنى الدلالي لديه، ولعلَّ هناك علامة استفهام تثار بحثاً عن الفرق بين الآلية هنا ومعنى اللفظة، وعن معنى قولنا: (المعنى الدلالي)، فأمَّا الجواب عن الاستفهام الأوَّل فيمكن أنْ نجيب –وإنْ كنَّا قد تعرَّضنا لذلك في المقدِّمة ولكنْ لا بأس من بيان الأمر هنا للارتباط بينه وبين هذا المحور– بأنَّ آلية (في المعنى) هي آلية تعمل في السياق وتوجِّه العمل ويترتب عليها الأثر ، وهي المسؤولة عن تحريك النص، في حين أنَّ المعنى هو المعنى المعجمي للفظة، وأمَّا الإجابة عن الاستفهام الثاني فيمكن أنْ نقول فيها إنَّ المعنى الدلالي هو ذلك المعنى الذي يجمع إلى اللفظة والسياق الواقع الخارجي الذي تستعمل فيه اللفظة، ويُراعى فيه المخاطب.

وبلحاظ ذلك وبعد التنقير عن تلك المعاني الدلالية في الكتاب التقطنا مجموعةً من الدلالات التي لم تخرج عن الدلالات الصرفية المعجمية، التي تنضوي تحتها الأبنية الصرفية.

وهذه الدلالة متعلِّقة بالصيغة، وهي التي أطلق عليها ابن جنّي اسم الدلالة الصناعية [٤٦]، إذ يقول في باب (في الدلالة اللفظية والصناعية والمعنوية): " اعلم أنَّ كلَّ واحدٍ من هذه الدلائل معتدٌّ مراعى مؤثِّر، إلَّا أنَّها في القوَّةِ والضعف على ثلاث مراتب: فأقواهُنَّ الدلالة اللفظيَّة، ثمَّ تليها الصناعيَّة، ثمَّ تليها المعنويَّة "[٤٧].

فهذه الدلالة هي دلالة الصيغة، وقد جاء في الكتاب قول سيبويه: " وقد بنوا أشياء على فَعِلَ يفعَلُ فَعَلاً وهو فعِلٌ، لتقاربها في المعنى، وذلك ما تعذَّر عليك ولم يسهل. وذلك: عَسِرَ يَعْسَر عسَراً وهو عَسِرٌ، وشكِسَ يَشْكَسُ شكَساً وهو شكِسٌ. وقالوا: الشكاسة، كما قالوا: السَّقامة "[٤٨].

٤٥– بناء الجملة العربية على وفق قواعد التفسير الدلالي / ٧٥.
٤٦– أثر القرينة في توجيه المعنى عند الفرّاء / ٤٠.
٤٧– الخصائص ٣ / ٩٨.
٤٨– الكتاب ٤ / ٢١.

http://abu.edu.iq

يتَّضح من هذا النص وغيره ممَّا شابهه أنَّ آلية (في المعنى) قد وجَّهت النص هذه المرة وجهةً دلاليةً صرفية، إذ لما كان المعنى العام لهذه الأوزان متقاربًا صُبَّت هذه المعاني في قوالب واحدة وهذا هو شأن المعاني المشتركة في الغالب فسيبويه " ينطلق من نظام القولبة في تحديد الأصناف المورفولوجية، إلى جانب اهتمامه بالحقل الدلالي المسؤول عن تصميم هذا النظام "[٤٩].

ولعلَّ الدلالة الناجمة هنا عن تلك المعاني قد تعارف عليها المجتمع فحاول الصرفيون العرب في مؤلَّفاتهم أنْ يجعلوها في تلك الأوزان، وهنا راعوا الفهم القائم بين الأفراد واستعمالها المتداول بينهم لأنَّ تقييد علماء اللغة –ومنهم سيبويه– لتلك المعاني في تلك القوالب مبني في الأساس على تلك المعرفة وكأنَّهم حين وضعوها لم يجدوا تكلُّفاً عند العربي في تحديد معانيها، ولذا عقد سيبويه أبواباً صرفية خاصَّة لها، ومن الأمثلة التي طرحها سيبويه أيضاً قولُهُ: " وقالوا: غضبانُ وغضبى، وقالوا: غضِبَ يغضَبُ غضباً، جعلوهُ كعَطِشَ يَعْطَشُ عَطَشاً وهو عطشان، لأنَّ الغضب يكون في جَوْفِه كما يكون العطش... ومثلُ ذلك: غِرْتَ تغَارُ غَيْرَةً وهو في المعنى كالغضبان. وقالوا: حِرْتَ تَحارُ حيرةً، وهو حيرانُ وهيَ حَيْرَى، وهو في المعنى كالسكران لأنَّ كليهما مُرْتَجٌ عليه "[٥٠].

إذ ممَّا يُلحظ على هذا النص أنَّ سيبويه قد جعل التقارب في المعنى راكزاً ترتكز عليه المعاني، فقد دلَّ العطش والغضب على فراغ الجوف، ودلَّت الغيرة والغضب على الهيجان أو الانفعال تجاه الشيء، وكذا دلَّت الحيرة والسكر على معنى عام واحد هو عدم الاهتداء للسبيل وغشوة البصر [٥١].

ويظهر أنَّ سيبويه قد انصبَّ تركيزه على تشكيلي (فَعْلان، فَعَلان) ملتمساً قوَّة الجاذبية الملتحمة بين وجهتي الهيئة السطحية والتحتية، مستقرئاً توزيع البنية المعنوية لـ (فَعْلان) على صفتين متضادتين هما (الخلو والامتلاء)، واستنبط كثرة تداول (فَعَلان) مع مضامين الحركة والاضطراب والهيجان، وهذه النظرة التحليلية إنَّما تقوم أساساً على إيجاد خيوط وأواصر وشيجة بين خفَّة الفتحة وكثرة حركتها وذبذبتها، وبين اهتزاز الأجسام وتتابع الحركات المرافقة للأحداث الخارجية.

وقد ترك مثل هذا التوجيه الصوتي والرؤية الدلالية أصداءً لدى اللغويين قديماً وحديثاً [٥٢]، بحيث استحوذ على طروحاتهم اللغوية ولا سيَّما في حقل اللسانيات السيميائية الرابطة بين ميزات الكميَّة والكيفية للأصوات والخفايا الدلالية المتساوقة معها على مستوى رموز منفردة ومركَّبة [٥٣]، وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدُلُّ على حقيقة المعنى كآلية موجِّهة للأحداث الخارجية وإخراج النص إلى الفضاء الخارجي عنه، فهي تربط الصوت بالأصوات الأخرى داخل الكلمة، والكلمة بالكلمة الأخرى داخل

٤٩– البحث الدلالي في كتاب سيبويه / ١٠٠.
٥٠– الكتاب ٤ / ٢٤ – ٢٥.
٥١– ينظر: لسان العرب ٤ / ٢٢٢، مادة (حير)، و م. ن. ٤ / ٣٧٤ مادة (سكر).
٥٢– ينظر: المحتسب ١ / ١٣٨، والصاحبي / ٢٢٤، وفقه اللغة وأسرار العربية / ٤١١، وشرح الشافية ١ / ١٥٦، وفي أصول النحو / ١٢٤، والحروف والأصوات العربية / ٢٤٩ – ٢٥٤، والبحث الدلالي في كتاب سيبويه /١٢٢ – ١٢٣.
٥٣– ينظر: البحث الدلالي في كتاب سيبويه / ١٢٣.

http://abu.edu.iq

الجملة، والجملة بالجملة الأخرى داخل النص، ثمَّ توضِّح علاقة هذا النص مع الخارج بالإيحاءات التي يشير إليها، أو ما يمكن أنْ نسمِّيه بالإحالات إلى الواقع الخارجي المنسلخ عن المكتوب إلى المنطوق.

وإنْ كان هذا لا يخلو من إيرادِهِ لأوزانٍ أخرى، من ذلك قولُهُ: "وقالوا: أوجَرُ فأدخلوا أفعل ههنا على فَعِل لأنَّ فَعِلاً وأفعَل قد يجتمعان، كما يجتمع فَعْلانُ وفَعِلٌ. وذلك قولك: شعِثٌ وأشعَثُ، وحدِبٌ وأحْدبٌ. وهما في المعنى نحوٌ من الوجع"(٥٤).

وقد كان للدكتور تمَّام حسَّان رأيٌ قيِّم في أهمية هذه الصيغة ودلالتها التداولية، فقد فرَّق بين معنى العلامة الصرفية التي هي الصيغة، وبين معنى الكلمة التي هي المثال، فالمعنى الأوَّل وظيفي، والثاني معجمي، والمعنى الأوَّل يكون في تحليل السياق، والسياق يُعَدُّ إحدى الوسائل التي يُلجأ إليها في إيضاح المعنى، فنحنُ لا نتكلم أصواتاً، ولا حروفاً، ولا مورفيمات، ولا صيغاً، وإنَّما نتكلم جملاً مفيدة مركبة من هذه الأجزاء التحليلية.

واللغة العربية محظوظة جداً بوجود هذه الصيغ الصرفية لأنَّ هذه الصيغ تصلح لأنْ تستعمل أداة من أدوات الكشف عن الحدود بين الكلمات في السياق (٥٥)، فإذا كانت الصيغة أداة للكشف وكانت الآلية المعتمدة لدينا لتمييز الدلالة الصرفية، كان التضافر واضح بين العملين والتمييزين في لحظةٍ واحدة، وهذا إنَّما يُضفي على العمل تميُّزاً أكبر وتوجيهاً أفضل.

ويُضيف الدكتور على ما سبق بأنَّهُ لما كانت معاني العناصر غير محدودة من الناحية المعجمية، محدودية الكلمات ذات الصيغ الصرفية، فقد دعا هذا برتراندرسل إلى أنْ يسمِّي بعض هذه العناصر (خواص مركزية شخصية) حيث يقول: إنَني أسمِّي الكلمات التي يختلف معناها باختلاف المتكلِّم ووضعه في الزمان والمكان (خواص مركزية شخصية)، والأسس الأربعة لهذا النوع هي (أنا، هذه، وهنا، والآن) (٥٦).

المحور الرابع: تضافر الآليات (في المعنى " جرى مجرى، المنزلة ")

قدَّمنا فيما مضى للتوجيه الذي كان محور الدرس فيه لآلية (في المعنى) التي شكلَّت عنوان بحثنا، ولكنَّنا حين بحثنا في الكتاب جذب انتباهنا أنَّه في بعض الأحيان يلتقي في السياق مع هذه الآلية آليات أخرى، فتوقَّد منَّا الفضول العلمي للبحث عن مراد سيبويه من جمع أكثر من آلية في موضعٍ واحد، ولا سيَّما أنَّنا نعلم أنَّ لِكُلِّ آليةٍ عمل معيَّن يختلف عن الأخرى، إذ لو كان عملُ جميعها واحداً لاستعاض سيبويه عنها بآلية واحدة ولم يكُنْ ليحتاج إلى زيادات لا فائدة منها.

وبناءً على ذلك سنحاول أنْ نحلِّل ونُعلِّل فقط في المواطن التي جاءت فيها الآليات الأخرى مع آليتنا التي تبنَّيناها بالبحث.

٥٤- الكتاب ٤ / ١٨، وينظر: م. ن. ٤ / ٢٩، ٣٠، ٣١.
٥٥- ينظر: مناهج البحث في اللغة / ١٧٣ – ١٧٦.
٥٦- ينظر: مناهج البحث في اللغة / ١٧٧.

http://abu.edu.iq

أ- آلية (في المعنى) و(جرى مجرى):

يمكن لنا أن نلحظ بسهولة أنَّ لفظة (الجري) أو(تجري) قد أُخذت من القرآن الكريم؛ ومن متابعة ذلك فيه وجدناها تكثر مع (جري الأنهار) و(جري الفُلك) وبعدها تأتي على نحوٍ أقل مع (جري الشمس والقمر) و(جري الريح)، وفي كل ذلك لا تخرج عن معنى الحركة، وهذا يدُلُّ على وعي سيبويه حين استعملها آليةً للتحريك في النص، فممَّا جاء به سيبويه معنوناً به باباً من أبوابه قولُهُ: " هذا بابٌ جرى مجرى الفاعل الذي يتعدَّاه فعلُه إلى مفعولَيْنِ في اللفظ لا في المعنى "[٥٧].

يبدو من تأمُّلِ هذا الباب أنَّنا بحاجة إلى قرنِهِ بأدلة من داخله لنتعرَّف إلى العمل الذي قامت به الآليتان معاً وهما آلية (جرى مجرى) التي جاءت ابتداءً وآلية (في المعنى) التي هي محور البحث، وهو الكلام الذي استشهد به في بداية الباب قائلاً: "وذلك قولك:* يا سارِقَ الليلةِ أهلَ الدارْ [*] *

تقول على هذا الحدّ: سَرَقْتَ الليلةَ أهلَ الدار، فتجْرِي الليلة على الفعل في سَعَةِ الكلام، كما قال: صَيِدَ عليه يومان، ووُلِدَ لهُ ستُّونَ عاماً. فاللفظُ يجري على قوله: هذا مُعطِي زيدٍ دِرهَماً، والمعنى إنَّما هو في الليلة، وصَيِدَ عليهِ في اليومين، غيرَ أنَّهم أوقعوا الفعلَ عليه لسَعة الكلام "[٥٨].

يظهر من النصّ أنَّ الحديث حولَ قضيَّة تعدِّي الفعل إلى مفعولين، مع ارتباطه بأمرٍ آخر هو سعة الكلام، فالأولى نشعر معها أنَّها ترتبط باللفظ، والثانية نشعر معها أنَّها ترتبط بالمعنى، وإنَّما أُعمِلَتْ آلية (جرى مجرى) في اللفظ فعدَّت الفعل لا في المعنى، أي إنَّ عمل الآلية الأولى معاكس للآلية الثانية؛ فالأولى أعملته، في حين أنَّ الاعتماد على الثانية يؤدِّي إلى توقُّفَ العمل، لأنَّ المعنى لا يصح، فالليلة لا تُسرق، واليوم لا يُصاد، وإنَّما وقع الحدث فيهما أي حدث السرقة وحدث الصيد، وهذا الذي جرى هنا إنَّما هو من باب التوسعة في المعاني التي يمكن أنْ تستعمل مع الفعل نفسه، أي على المجاز.

وهذا إنَّما أدخل فيه سيبويه المعاني المعجمية لتلك الأفعال التي هي متداولة بين أبناء اللغة، وما يُسمَّى بالقرائن المعنوية، أي أنَّ هناك قرينة معنوية تقتضي أنْ لا يستعمل فعل السرقة مع الليلة، وقد أجرى سيبويه هذا التوسُّع في الظروف من خلال الحذف، وهو ما ذهب إليه ابن السراج حين عرض لأمثلة سيبويه قائلاً: "وأمَّا اتِّساعهم في الظروف فنحو قولهم: (صيدَ عليهِ يومان) وإنَّما المعنى: صيد عليه الوحش في يومين، (وولدَ لَهُ ستُّونَ عاماً) والتأويل: (ولد لُهُ الولدَ في ستينَ عاماً)، ومن ذلك قولُهُ (عزَّ وجلَّ): ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ [سبأ: ٣٣] وقولهم: (نَهارُكَ صائمٌ وليلُكَ قائمٌ) وإنَّما المعنى: (أنَّكَ صائمٌ في النهارِ وقائِمٌ في الليلِ) وكذلك: (يا سَارِقَ اللَّيلةَ أهلَ الدَّارْ [*]...)

وإنَّما سرق في الليلة، وهذا الاتِّساع أكثر في كلامهم من أنْ يُحاطَ به "[٥٩].

٥٧- الكتاب ١ / ١٧٥.
٥٨- الكتاب ١ / ١٧٥ – ١٧٦. (*) الصواب (الدارِ).
٥٩- الأصول في النحو ٢ / ٢٥٥. (*) الصواب (الدارِ).

http://abu.edu.iq

وهذا التضافر بين الآليات لا بُدَّ لنا من أنْ ننبّه على أنَّهُ لا يترتَّب عليهِ فقط التوسُّع في المعاني، وإنَّما يتكفَّل بالتوجيه الإعرابي للكلمات، فالاتِّساع هو إيقاع العلاقات النحوية التي كان يجب أنْ تقع بين الكلمات المذكورة والكلمات المحذوفة على الكلمات التي وقعت عليها في الأمثلة، كوقوع الصيد على أرض قنوين بدلاً من وقوعه على وحشها أو وقوعه فيها. وهذا من باب (تصحيح اللفظ على المعنى) بعبارة سيبويه نفسه في غير هذا الموضع [٦٠].

وقد أدَّى ذلك إلى وقوع الفعل على غير ما يقع عليه عادةً، وإجراء الكلمات على سبيل المجاز لا الحقيقة، وحين يقوم سيبويه بإعطاء التصحيحات التي كان يجب أنْ تكون عليها الجملة فهو من قبيل الإشارة إلى مستوى الصحَّة الذي كان يجب أنْ يقوم عليه الكلام قبل أنْ يخرج إلى هذا المستوى الأوَّلي [٦١].

ولعلَّ سيبويه قد عدَّهُ نوعاً من التوسُّع والمجاز في الكلام لعدم تجسيدِهِ الحمولات الدلالية بهيئتها الحقيقية التي تضاعف استهلاك الجهد العقلي والأدائي، وهذا ما ينافي الغاية التي يبتغيها مبدأ الاقتصاد الأدائي وتوفير الطاقة الذي كانت العرب قد اعتادت الجنوح إليه ومواكبته، ونحو هذا الانزياح أو ما يمكن تسميته بالانزياح الوظيفي يمتلك قوَّة تأثيرية وإيحائية، ولذا أصبح مركز الجاذبية لكلِّ ما تسمح به طاقاته الاستيعابية من إفرازات الوجود والتداول لتغطية كميَّة كبيرة من المضامين الواقعية بمختلف مناحيها الاجتماعية والفكرية والأدبية التي تنصاع لإيعازات العقل عبر نماذج استنطاقيَّة متباينة [٦٢].

ب- آلية (في المعنى) و(المنزلة):

ومن الأمثلة الأخرى لمجيء الآليات في سياقٍ واحد مجيء آلية (المنزلة) مع آلية (في المعنى)، وإنَّما أُخذ هذا المعنى من القرآن الكريم ومن السنَّة المحمديَّة الطاهرة فلم تخرج لفظة التنزيل في القرآن عن صدور الأمر وإنزاله من الأعلى إلى الأدنى على مراحل ومنازل، في حين أنَّهُ اشتُقَّ من السنَّة النبوية من حديث المنزلة، وهذا الحديث أنزل فيه النبي محمد –ﷺ– الإمام علي –عليه السلام– منه منزلة هارون من موسى إلَّا أنَّهُ لا نبيَ بعدَه، ونرى أنَّ حديث المنزلة أكثر تماسَّاً مع ما جاء في الكتاب في معنى المنزلة ممَّا سيتبيَّن عند عرض النص الذي قال فيه سيبويه: " وقالوا: نبَّه ينبُه وهو نابه، وهي النباهة، كما قالوا: نَضَرَ يَنْضُرُ وجهَهُ، وهو ناضرٌ، وهي النضارة، وقالوا: نبيهٌ كما قالوا: نضيرٌ، جعلوه بمنزلة ما هو مثله في المعنى، وهو شريفٌ "[٦٣].

هذا الذي نجدُهُ في النص هو توجيه نحو دلالةٍ صرفية؛ ولو دقَّقنا أكثر وحاولنا أنْ نستدلَّ على الأثر الذي أحدثتهُ آلية (المنزلة) في النص لوجدنا أنَّها جاءت لكي تُعينَ آلية (في المعنى) على العمل، أي أنَّ كلَّاً منهما قد عمل في النص، فلو اكتفينا بالمماثلة في المعنى فقط لاحتمل أنْ يكونَ المماثل بمنزلة الآخر

٦٠- ينظر: الكتاب ١ / ٢١٣، ٢١٦، والنحو الدلالة / ١٦٨ – ١٦٩.
٦١- ينظر: النحو والدلالة / ١٦٩.
٦٢- ينظر: البحث الدلالي في كتاب سيبويه / ٣٩٤ – ٣٩٥.
٦٣- الكتاب ٤ / ٣٣.

http://abu.edu.iq

أو ليس بمنزلته، ولكن لما اختار سيبويه أنْ يكون بمنزلتِهِ في المعنى فقد اختزل الفوارق بينهما إلى الحد الذي يصل إلى صحَّة استبدال أحدِهما بالآخر في التعامل أو الحكم.

أمَّا قول سيبويه: " وأمَّا (ما) فهي نفيٌ لقوله: هو يفعل إذا كان في حال الفعل، فتقول: ما يفعلُ. وتكون بمنزلة ليس في المعنى، تقول: عبدُ اللهِ منطلقٌ، فتقول ما عبدُ اللهِ منطَلقٌ أو منطلقاً، فتنفي بهذا اللفظ كما تقول: ليس عبدُ الله منطلقاً. وتكون توكيداً لغواً، وذلك قولك: متى ما تأْتِنِي آتِك، وقولك: غَضِبتُ من غيرِ ما جُرْمٍ. وقال الله عزّ وجلّ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ﴾ [المائدة: ٣٣] وهي لغوٌ في أنَّها لم تُحدِث إذ جاءت شيئاً لم يَكُنْ قبل أنْ تجيء من العمل، وهي توكيد للكلام "[٦٤] فإنَّهُ مختص بالدلالة النحوية، فتكون الآليات عاملة في توجيه تلك الدلالة لا غيرها.

فآلية (المنزلة) هنا تضافرت مع آلية (في المعنى) لتحديد معنى (ما)، وهذا المعنى بمنزلة الإفادة التي تفيدها ليس، فالمنزلة مراتب وأحوال، ففيما مضى أُنزِل الاسم منزلة الاسم الآخر من حيث المعاني الصرفية العامَّة التي ينضوي تحتها الاسمين أو الصيغتين المذكورتين، وهنا أُنزِلت (ما) منزلة ليس في دلالة النفي فوجَّهت النص توجيهاً دلالياً نحوياً، وعملت (في المعنى) معها لأنَّ (ما) وقعت في منزلتها في المعنى لا غيره، فحكمت بذلك السياق الذي تأتي فيه (ما) والذي تأتي فيهِ ليس، وهذا ينفي عن المخاطب احتمال أنْ تكون (ما) قد أُنزِلت منزلة ليس في اللفظ أو الهيئة.

ولذا جاء عن ابن جنّي في الخصائص قولُهُ: " فالمعنى إذاً أشيع وأسير حُكماً من اللفظ، لأنَّك في اللفظي متصوّر لحال المعنوي، ولست في المعنوي بمحتاج إلى تصوُّر حكم اللفظي "[٦٥]، ودليل سير الحكم من خلال هذه المنزلة أنَّ (ما) أُعمِلَت معنى (ليس) في لغةِ أهلِ الحجاز، ولم تعملها تميم، وقد ذكر النحّاة أوجهاً للمشابهة بينهما، وما يهمُّنا منها أنَّ كلتيهما تستعمل لنفي الحال [٦٦].

ولكنَّ سيبويه في النص يفرّق بين (ما) العاملة وغير العاملة بأنَّ الأولى تُحدِث شيئاً من العمل فيما لو جاءت، في حين أنَّ الثانية (الزائدة) لا يترتَّب على مجيئها أيُّ تغييرٍ في الجملة، وكذلك يذكر أنَّ النفي كما حصل في المعنى بداهةً فإنَّه حصل في اللفظ أيضاً، وبذا فقد تكون عاملة أو غير عاملة.

وبالنظر إلى النص الأخير لسيبويه نجدهُ لا ينفك عن التحدُّث مع المخاطب فيبلّغ المخاطب بآلية العمل، ويصوّر المشهد حتى يُخيَّل لنا أنَّه إنَّما يتحدَّث في كل ما جاء فيه ضمير المخاطب معه، وهذا يُفهِم من استعماله للفظة (تقول) و(تنفي) و(قولك) وغيرها ممَّا جاء على نحو هذا المثال.

فهو في كل ذلك يحاول أنْ يشارك المخاطب أو المعاني التي تحرّك النص والتي يفهمها هذا المخاطب وإنْ رأى في وجهه استفهاماً شرع في التفسير بآلية أخرى غير الآلية الأولى، أو جمع إلى الأولى آليةً ثانية.

٦٤- الكتاب ٤ / ٢٢١.
٦٥- الخصائص ١ / ١١١.
٦٦- ينظر: المقتضب ٤ / ١٨٨، وشرح المفصَّل ١ / ١٠٨، وأسرار العربية / ١٤٣، ومعاني النحو ١ / ٢٢٩.

http://abu.edu.iq

عصارة البحث

بعد كلِّ رحلة هناك محطة، وبعد رحلتنا القصيرة مع هذا البحث، استقرَّ بنا الركب عند هذه المحطة لنلقي بأعباء السفر على كاهل هذه الصفحات، فلعلَّهُ يروي شيئًا من ظمئِ ذلك المسير، لأنَّ التنقُّل في ركب القدماء يزيد الطريق وعورة أحياناً، وفي أحيان أخرى تتكشف الطريق بجهودٍ مضنية، فما بالك إذا كان هذا التنقُّل في ركبِ كتاب سيبويه، ولكنَّ ذلك التنقل وإنْ كان مضنياً، وإنْ كان وقتُهُ ضيّقاً فقد خرجنا منهُ بغنيمةٍ، وتحصَّلت لدينا حصيلةً تضمرُ مجموعةً من النتائج، أهمُّها:

– لقد مثَّلت مدوَّنات النحّاة العرب ميداناً خصباً مفعمًا بالحيوية، وفي مقدِّمتها الكتاب لسيبويه الذي لم يضع فيه قاعدة ولم تَرِد فيه جملة إلَّا ولها انسيابيتها ومحيطها، فهي تتحرَّك مع النص، وفي الوقت نفسه لها محيط تتأثر به، إذ هي أشبه ما يكون بالكائن الحي الذي يتحرَّك في مجاله ويتأثر بمحيطه.

– بدأ التعرُّف على انسيابية النصوص في الكتاب مع بداية فهمِ نصِّ سيبويه، وقراءتِهِ قراءة جديدة متحرِّكة، وهذا التحرُّك مرهون بمجموعةٍ من الآليات التي تعمل على تحريكه وتوجيهه، وهذه الآليات التي استعملها سيبويه مماثلة لتلك التي استعملها المفسِّرون وهم يتعاملون مع القرآن الكريم. كما ذهب الدكتور حسن عبد الغني الأسدي في كتابه (مفهوم الجملة عند سيبويه)[1] وهذا إنْ دلَّ على شيء فإنَّما يدُلُّ على التواشج الروحي بين العرب والقرآن من جهة، ومن جهةٍ أخرى فإنَّهُ يدُلُّ على إدراك سيبويه أنَّ وظيفة اللغوي تماثل وظيفة المفسِّر في سعيه إلى الوصول إلى الدلالة القرآنية للآية المباركة التي اقتضت أنْ يتجاوز عمله تفسير الألفاظ على وفق الكلمة ومعناها، إلى أنْ يسعى إلى البحث عن الملابسات المقامية المصاحبة لنزول الآيات أو تلك التي كانت سبباً مباشراً في نزولها وذلك فيما عُرِف باصطلاح المفسِّرين بـ(أسباب النزول).

– أنَّ التعامل مع آلية (في المعنى عند سيبويه) يختلف عن (المعنى عند سيبويه)، فالأولى أداة تحرِّك النص تهدف إلى التغيير – بكل ما يدخل تحت هذه الكلمة من معنى – والثانية تضفي معاني على النص، وتشكل محورًا أساسيًّا للتحليلات التي تفسِّر عمل هذه الآلية، وعليه ستكون الثانية خادمة للأولى، لأنَّها تشكِّل المحور الأساس لتحليل عمل هذه الآلية.

– وعلى هذا الأساس لم يجعل من اللفظ أو المعنى آليةً من آليات التفسير، وإنَّما استعاض عنها بآلية (في المعنى) لأنَّهُ وجدَ فيها استعانة في التوجيه ممَّا لا يقف عند اللفظ الذي هو نافذ بنفسه، ولا يقف على اللفظ والمعنى على أساس أنَّهما تأصيل للقاعدة النحوية لا آلية لتفسيرها أو توجيهها فكانت هذه الآلية من الأهميَّة بمكان إلى الحد الذي قد يلتبس على المتصفِّح لكتاب سيبويه، وهي تقع ضمن منظومة من الآليات التي لا ينفكُّ سيبويه يستعملها، ولكن كانت الاستعانة بها على أوجه قد وضَّحها البحث.

– أنَّ سيبويه قد جعل الآلية محوراً للعمل النحوي من خلال مقابلتها باللفظ تارةً، وصحة المعنى وعدم حصول اللبس تارةً أخرى، ثمَّ أدخل الواقع الاجتماعي الدال على المعنى الخارجي الذي يفهمه المخاطب.

http://abu.edu.iq

– أنَّ سيبويه قد وظَّف العلاقة الاجتماعية والمعاني التي هي مألوفة للمتكلِّم والمخاطب بما يخدم التركيب النحوي، وهذا المخاطب الذي يذكرهُ سيبويه يكونُ متخيَّلاً، وهذا يكون أكثر تحريكاً للأحداث التي ينشدها سيبويه فهو يصوِّر مسرحاً كاملاً للكتاب وكأنَّما تشعر أنَّهُ المؤلِّف الراوي الذي يتَّخذ من الأحداث تسلسلاً ينتهي بعد أنْ يمر بالعقدة إلى الحل.

– أنَّ حقيقة آلية (في المعنى) في النص تكمنُ في كونها موجِّهة للأحداث الخارجية وإخراج النص إلى الفضاء الخارجي عنه، فهي تربط الصوت بالأصوات الأخرى داخل الكلمة، والكلمة بالكلمة الأخرى داخل الجملة، والجملة بالجملة الأخرى داخل النص، ثمَّ توضِّح علاقة هذا النص مع الخارج بالإيحاءات التي يشير إليها، أو ما يمكن أنْ نسمِّيه بالإحالات إلى الواقع الخارجي المنسلخ عن المكتوب إلى المنطوق.

– أنَّ آلية (في المعنى) لا يقتصر عملها على الجملة، وإنَّما تعمل في مجموع النص على مستوى المكتوب، وعلى مستوى النص المنطوق في محيطه بكل ما يشتمل عليه هذا المحيط من شخوص وأحداث.

– لا بُدَّ لنا من أنْ ننبِّه على أنَّهُ لا يترتَّب على التضافر بين الآليات التوسُّع في المعاني، وإنَّما يتكفَّل أيضاً بالتوجيه الإعرابي للمفردات.

– كان يمكن لسيبويه أنْ يكتفيَ بآليةٍ واحدة لتوجيه النص في بعض المواضع ولكنَّهُ لما وجد أنَّ النص يستدعي آليتين لكون الآلية الواحدة لا تفي بالعمل ولا تشبع التفسير جمع إلى الأولى آليةً ثانية، وأحياناً ثالثة في مواضع أخرى غير التي اختصَّ بها البحث.

– لاحظنا من خلال البحث أهمية المخاطب الذي اهتمَّ به سيبويه وجعله شخصية بارزة في مسرحه، فتارةً يحدِّثُهُ جليساً حقيقياً، وتارةً أخرى نلقاهُ جليساً افتراضياً متخيَّلاً، وثالثة نُلفيهِ مارَّاً مستطرقاً، وهذه النتيجة ليست فقط في ضمن النصوص التي تحدَّثنا عنها، وإنَّما ظهرت لنا من ملاحظاتٍ عابرة لنصوصٍ أخرى، فما بالك بمن يعيش مع الكتاب.

– من تأمُّل البحث يظهر أنَّه قد توجَّه نحو توظيف المعنى عند سيبويه ليكون جهةً من الجهات التي يرتكز عليها التحليل النحوي، فيكون بذلك آليةً منهجية، فضلًا عن كونه آليةً للتحليل. ولكن نقول ختاماً حقاً إنّنا لنغبطُ كلَّ من يرتحل مع نصوص الكتاب فنعم الرفيقُ هو، ولطالما قيل اختر الرفيق قبل الطريق، تستأنس بذلك وحشة الطريق، وإنْ كان الكتاب فلا وحشة فيه وإنَّما هو إشعاعات نور اقتبست أصول أنوارها من سلسلةٍ نُقِشَت حروف الكتاب في هديها، فهو جيلٌ يقتفي إثرَ جيل.

مظان البحث

– القرآن الكريم.

أولًا: الكتب المطبوعة

١. أسرار العربية، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري (ت ٥٧٧هـ)، عني بتحقيقه: محمّد بهجت البيطار، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، (د. ت.).

http://abu.edu.iq

٢. الأسس الإبستمولوجية والتداولية للنظر النحوي عند سيبويه، الدكتور إدريس مقبول، عالم الكتب الحديث، إربد – الأردن، جدارا للكتاب العالمي، عمان – الأردن، ٢٠٠٦م.
٣. الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السَّراج النحوي البغدادي (ت ٣١٦هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحسن الفتلي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٣، ١٤١٧هـ = ١٩٩٦م.
٤. البحث الدلالي في كتاب سيبويه، الدكتورة دلخوش جار الله حسين دزه يي، دار دجلة، المملكة الأردنية الهاشمية، ط ١، ٢٠٠٧م.
٥. تجديد المنهج في تقويم التراث، الدكتور طه عبد الرَّحمن، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، بيروت – لبنان، ط ٢، (د. ت.).
٦. تعريف الدارسين بمناهج المفسِّرين، الدكتور صلاح عبد الفتّاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط ٣، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
٧. التفكير اللساني في الحضارة العربية، الدكتور عبد السلام المسدي، الدار العربية للكتاب، مطبعة بو سلامة، تونس، ط ٢، ١٩٨٦م.
٨. خزانة الأدب ولبّ لُباب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية، القاهرة – مصر، ط ٤، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.
٩. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجّار، المكتبة العلمية، (د. ت.).
١٠. الرماني النحوي في ضوء شرحه لكتاب سيبويه، مازن المبارك، دار الفكر، دمشق – سوريا، دار الفكر المعاصر، بيروت – لبنان، المطبعة العلمية، دمشق، ط ٣، ١٤١٦هـ = ١٩٩٥م.
١١. سياق الحال في كتاب سيبويه (دراسة في النحو والدلالة)، الدكتور أسعد خلف العوَّادي، دار ومكتبة الحامد للنشر والتوزيع، عمان – الأردن، ط ١، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.
١٢. سيبويه إمام النحاة، علي النجدي ناصف، عالم الكتب، القاهرة، المطبعة العثمانية، (د. ت.).
١٣. شرح شافية ابن الحاجب، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن الأستراباذي النحوي (ت ٦٨٨هـ)، مع شرح شواهِدِهِ للعالم الجليل عبد القادر البغدادي (ت ١٠٩٣هـ)، حقّقهما، وضبط غريبهما، وشرح مبهمها، الأساتذة: محمد نور الحسن، محمد الزفزاف، محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
١٤. شرح المفصَّل، الشيخ موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي (ت ٦٤٣هـ)، مكتبة المتنبي، القاهرة، (د. ت.).
١٥. الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، أحمد بن فارس (من أئمة اللغة في القرن الرابع)، عنيت بتصحيحه ونشره المكتبة السلفية، مطبعة المؤيد، القاهرة، ١٣٢٨هـ = ١٩١٠م.

http://abu.edu.iq

١٦. علم اللغة الاجتماعي (مدخل)، الدكتور كمال بشر، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، (د. ت.).
١٧. فعالية القراءة وإشكالية تحديد المعنى في النص القرآني، محمد بن أحمد جهلان، تقديم: الدكتور محمد موسى بابا عمي، دار صفحات للدراسات والنشر، دمشق – سورية، ط ١، ٢٠٠٨م.
١٨. فقه اللغة وأسرار العربية، أبو منصور الثعالبي، ضبطه وعلَّق حواشيه وقدَّم له ووضع فهارسه: الدكتور ياسين الأيوبي، المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، ط ٢، ١٤٢٠هـ = ٢٠٠٠م.
١٩. في أصول النحو، سعيد الأفغاني، مديرية الكتب والمطبوعات الجامعية، دمشق، ١٤١٤هـ = ١٩٩٤م.
٢٠. قضايا اللغة في كتب التفسير (المنهج – التأويل – الإعجاز)، الدكتور هادي الجطلاوي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، سوسة، دار محمد علي الحامي للنشر والتوزيع، صفاقس – الجمهورية التونسية، ط ١، ١٩٩٨م.
٢١. الكتاب، سيبويه، أبو بشر عَمرو بن عثمان بن قنبر (ت ١٨٠هـ)، تحقيق وشرح عبد السلام محمّد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، دار الرفاعي، الرياض، ط ٢، ١٤٠٢هـ = ١٩٨٢م.
٢٢. لسان العرب، أبو الفضل جَمال الدين محمَّد بن مكرم ابن منظور الأفريقي المصري (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، (د. ت.).
٢٣. اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمّام حسّان، دار الثقافة، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء – المغرب، ١٩٩٤م.
٢٤. مجمع الأمثال، للميداني (ت ٥١٨ هـ)، حقَّقه، وفصَّله، وضبط غرائبه، وعلَّق حواشيه: محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السنَّة المحمدية، ملتقى أهل الأثر، ١٣٧٤هـ = ١٩٥٥م.
٢٥. المحتسب في تبيين وُجوه شَوَاذ القِراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عُثمان بن جني (ت ٣٩٢هـ)، تحقيق: علي النجدي ناصف، الدكتور عبد الحليم النجّار، الدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي، لجنة إحياء كتب السنَّة، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، مطابع الإهرام، القاهرة، ١٤١٥هـ = ١٩٩٤م.
٢٦. معاني النحو، الدكتور فاضل صالح السامرائي، مطبعة التعليم العالي في الموصل، الموصل، بمساعدة جامعة بغداد،١٩٨٦م – ١٩٨٧م.
٢٧. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري (٧٦١هـ)، تحقيق وشرح الدكتور عبد اللطيف محمد الخطيب، السلسلة التراثية (٢١)، مطابع دار السياسة، الكويت، ط ١، ١٤٢١هـ = ٢٠٠٠م.
٢٨. المفصَّل في صنعة الإعراب، أبو القاسم جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: الدكتور علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، ط ١، ١٩٩٣م.

http://abu.edu.iq

٢٩. مفهوم الجملة عند سيبويه، الدكتور حسمن عبد الغني الأسدي، دار الكتب العلمية، بيروت — لبنان، ط ١، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
٣٠. المقتضب، أبو العباس محمد بن يزيد المبّرد (ت ٢٨٥هـ)، تحقيق: محمّد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث العربي، وزارة الأوقاف، جمهورية مصر العربية، القاهرة، ١٤١٥هـ= ١٩٩٤م.
٣١. مقدّمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة، للإمام العلَّامة أبي القاسم الراغب الأصفهاني، حقَّقَهُ وقدَّمَ له وعلَّق حواشيه: الدكتور أحمد حسن فرَحات، دار الدعوة، الكويت، ط ١، ١٤٠٥هـ = ١٩٨٤م.
٣٢. مناهج البحث في اللغة، الدكتور تمّام حسّان، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مكتبة النسر للطباعة، القاهرة، ١٩٩٠م.
٣٣. مناهج الصرفيين ومذاهبهم في القرنين الثالث والرابع من الهجرة، تأليف الدكتور حسن هنداوي، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط ١، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.
٣٤. المنهج التفسيري عند العلّامة الحيدري، بقلم الدكتور طلال الحسن، دار فراقد للطباعة والنشر، قم – إيران، ١٤٣١هـ = ٢٠١٠م.
٣٥. المنهج الوصفي في كتاب سيبويه، الدكتور نوزاد حسن أحمد، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط ١، ١٩٩٦م.
٣٦. موسوعة كشّاف اصطلاحات الفنون العلَّامة محمد علي التهانوي، تقديم وإشراف ومراجعة: الدكتور رفيق العجم، تحقيق: الدكتور علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: الدكتور عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: الدكتور جورج زيناتي، مكتبة لبنان، بيروت — لبنان، ط ١، ١٩٩٦م.
٣٧. الميزان في تفسير القرآن، للعلَّامة السيد محمد حسين الطباطبائي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت — لبنان، ط ١، ١٤١٧هـ = ١٩٩٧م.
٣٨. النحو والدلالة (مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي)، الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٦م.

ثانيًا: الرسائل والأطاريح الجامعية:

١. أثر القرينة في توجيه المعنى عند الفرَّاء (ت ٢٠٧هـ) في كتابه معاني القرآن، كاظم إبراهيم عبيّس السلطاني، رسالة ماجستير، كلية التربية (صفي الدين الحليّ)، جامعة بابل، ١٤٣٢هـ = ٢٠١١م.
٢. بناء الجملة على وفق قواعد التفسير الدلالي في ضوء النظرية التوليدية التحويلية، وئام يوسف ناصر نصر الله، أطروحة دكتوراه، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.
٣. النحو والمعنى (دراسة في مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري " ت ٧٦١هـ")، أنفال رشاد علي عوده الخالدي، رسالة ماجستير، كلية التربية للبنات، جامعة الكوفة، ١٤٢٨هـ = ٢٠٠٧م.
٤. الوظيفية في كتاب سيبويه، رجاء عجيل إبراهيم الحسناوي، أطروحة دكتوراه، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة كربلاء، ١٤٣٤هـ = ٢٠١٣م.

http://abu.edu.iq

ثالثًا: البحوث:

١. أثر المكان في فهم الجملة عند سيبويه، الدكتور حسن عبد الغني الأسدي، مجلة كلية التربية، جامعة واسط، عدد خاص بأبحاث المؤتمر العلمي الخامس، ٢٠١٢م.
٢. آليات تحليل الخطاب في كتاب سيبويه، الأستاذ الدكتور بشير ابرير، مجلة كلية الآداب واللغات، جامعة باجي مختار، عنابة – الجزائر، العددان العاشر والحادي عشر، ٢٠١٢م.
٣. الحروف والأصوات العربية في مباحث القدماء والمحدثين، الدكتور هادي نهر، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، مركز تحقيقات كابتويرس علوم إسلامي، (د. ت.).
٤. المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، الدكتور عبد الحليم بن عيسى، دراسات أدبية، جامعة وهران، الجزائر، العدد الأوَّل، ١٤٢٩هـ = ٢٠٠٨م.
٥. – المنهج اللغوي في كتاب سيبويه، الدكتور عبد الصبور شاهين، مجلة آداب، جامعة الكويت، العدد الثالث والرابع، ١٩٧٣م.

http://abu.edu.iq